

## المقالة التاسعة

فى قوله سبحانه: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾

وفيه لوامع:

### اللمعة الأولى

[فى معنى الوسع]

«الوسع» بمعنى الطاقه . يقال: «وسع فلان الشىء»، إذا احتمله وأطاقه و أمكنه القيام به و بلوازمه، «و لا يسعك هذا» أى: لا تطيقه و لا تحتمله، و منه قوله ﷺ: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعى» أى: لا يحتمل غير ذلك .

### اللمعة الثانية

[فى معنى الكرسي]

«الكرسى» فى اللغة: كل أصل يعتمد عليه و كل شىء تراكب فقد تكارس، من «الكرس» -بالكسر- و هو تراكب الشىء بعضه على بعض و تلبّد جزء منه على جزء . «والكرس»: أبوال الدواب و أبعارها يتلبّد بعضها على بعض، و قد أكرست الدار: إذا كثرت فيها الأبوال و الأبعاد يتلبّد بعضها على بعض، و «تراكس الشىء»: إذا تركّب . و منه: «الكراسة» و جمعها «الكراريس» لتراكب أوراقها بعضها على بعض . و منه «الكرسى» الموضوع لهذه الهيئة المعروفة المصنوع لما يجلس لتركب خشباته و قطعه . و يقال للعلماء «كراسى» كما يقال لهم «أوتاد الأرض»؛ لأنّ عليهم الاعتماد و بهم القوام فى الدين و الدنيا .

### اللمعة الثالثة

[فى تفسير لفظ الكرسي و غيره من الألفاظ التشبيهية]

اعلم أنّ للناس فى هذا اللفظ و فى سائر متشابهات القرآن و الحديث مسالك: أحدها: منهج أهل اللغة و أكثر الفقهاء و أرباب الحديث و الحنابلة و الكرامية و هو ابقاء الألفاظ على مدلولها الظاهرة و مفهومها الأوّل من غير مراعاة التنزيه و التقديس فى ذات الله تعالى و صفاته .

و ثانيها: منهج أرباب العقل و التدقيق، و هو تأويل الألفاظ على وجه تطابق قوانينهم



النظرية و مقدماتهم العقلية تحفظاً على تقديسه تعالى و تنزيهه عن صفات الامكان و نقائص الأكوان .

و ثالثها : منهج الراسخين فى العلم و الايقان ، و هو ابقاء الألفاظ على مفهوماتها الأصلية من غير تصرف فيها ، لكن مع تحقيق تلك المفهومات و تجريد معانيها عن الأمور الزائدة ، و عدم الاحتجاب عن روح المعنى بسبب اعتياد النفس بهيئة مخصوصة يتمثل ذلك المعنى بها غالباً . مثلاً لفظ «الميزان» موضوع لما يوزن به الشئ ، و هو أمر مطلق عقلى هو بالحقيقة روح معناه و ملاك أمره من غير أن يشترط فيه التخصص بهيئة مخصوصة ، و كل ما يقاس به شئ - بأى خصوصية كانت ، حسية كانت أو عقلية - يصدق عليه أنه ميزان ، فالمسطرة و الشاقول و الكونيا و الاسطرلاب و الذراع و علم النحو و العروض و المنطق و العقل كلها مقائيس و موازين بها يقاس و يوزن الأشياء ، و لكل منها وزان ما تناسبه و تجانسه .

فالمسطرة ميزان الخطوط المستقيمة ، و الشاقول ميزان الأعمدة على وجه الأرض ، و الكونيا ميزان ما يوازي الأفق من السطوح ، و الأسطرلاب ميزان الارتفاعات و غيرها ، و الذراع ميزان كمية المقادير الخطية ، و النحو ميزان اعراب اللفظ و بنائها على عادة العرب ، و العروض ميزان كمية الشعر ، و المنطق ميزان صحيح الفكر ، و العقل ميزان الكل .

فالكامل العارف إذا سمع لفظ «الميزان» لا يحتجب عن معناه الحقيقى بما يكثر احساسه و يتكرر مشاهدته من الأمر الذى له كفتان و عمود و لسان ، و هكذا حاله فى كل ما يسمع و يراه ، فإنه ينقل الى فحواه ، و يسافر الى روحه و معناه و باطنه و أخراه ، و لا يتقيّد بظاهره أو لاه ، و صورته و دنياه .

و أمّا المقيّد بعالم الصورة فلجمود طبعه و خمود ذهنه و سكون قلبه الى أول البشرية و اخلاص عقله الى أرض المحسوسية يسكن الى أوائل المفهوم و يطمئن الى مبادئ العقول ، و لا يسافر عن مسقط رأسه و منبت حسّه ، و لا يهاجر من بيته الى الله و رسوله حذراً من أن يدركه الموت المزيل للصورة الحسية قبل الوصول الى عالم المعنى ، و ذلك لعدم وثوقه بما وعده الله و رسوله حقاً و قلة تدبّره فى معنى قوله سبحانه : ﴿ فقد وقع أجره على الله ﴾ (النساء : ٤) : ١٠٠ .

و الحاصل أن الحق الحقيق بالتصديق عند أهل الله و أرباب الحقيقة و التحقيق هو حمل الآيات و الأحاديث على مفهوماتها الأصلية من غير تأويل - كما ذهب اليه محققوا أئمة الحديث و علماء الأصول و الفقه - لكن لا على وجه يستلزم التشبيه و النقص و التجسيم فى حقّه تعالى و صفاته الالهية .



قال بعض الفضلاء: المعتقد اجراء الأخبار على هيئتها من غير تأويل و لاتعطيل .  
أقول: مراده من «التأويل» حمل الكلام على غير معناه الموضوع له، و التعطيل هو التوقف في قبول ذلك المعنى، و أكثرهم على أن ظواهر معاني القرآن و الحديث حق و صدق، و ان كانت لها مفهومات و معانٍ آخر غير ما هو الظاهر، كما وقع في كلامه ﷺ: «إنَّ للقرآن ظهراً و بطناً و حداً و مطلعاً»<sup>١</sup>، كيف ولو لم تكن الآيات و الأخبار محمولة على ظواهرها و مفهوماتها الأولى من غير تشبيه و تجسيم لما كانت فايده في نزولها و ورودها على الخلق كافة، بل كان نزولها موجباً لتحيّرهم و ضلالهم و هو ينافي الرحمة و الحكمة .

### اللمعة الرابعة

#### في نقل وجوه المعاني بحسب كلّ منهج

فمن المنهج الأول أنه جسم عظيم يسع السموات و الأرض من جهة الظرفية و الاحاطة المقدارية .

ثم القائلون بهذا المعنى اختلفوا: ففرقة ذهبوا الى أن الكرسي هو نفس العرش، و هما جسم واحد - و به قال الحسن - و استدّلوا بأن «السري» قد يوصف بأنه عرش لقوله تعالى: ﴿و لها عرش عظيم﴾ (النمل: ٢٧: ٢٣) ﴿نكروا لها عرشها﴾ (النمل: ٢٧: ٤١) ﴿قيل أهكذا عرشك﴾ (النمل: ٢٧: ٤٢) و قد يوصف بأنه كرسي: ﴿و لقد فتنا سليمان و ألقينا على كرسيه جسدا﴾ (ص: ٣٨: ٣٤) . و لكون كلّ منهما يصلح للتمكن .

و فرقة منهم ذهبوا الى أن كلا منهما غير الآخر، ثم اختلفوا: فمنهم من قال: إنه سري دون العرش و فوق السماء السابعة و قد روى ذلك عن أبي عبد الله ﷺ رواه الشيخ الجليل أبو علي الطبرسي - طاب ثراه - عنه ﷺ مرفوعاً في مجمع البيان، أقرب منه ما نقل عن عطاء أنه قال: «ما في السموات و الأرض» إلّا كحلقة في فلاة، و ما الكرسي عند العرش إلّا كحلقة في فلاة» و قال آخرون: إنه تحت الأرض - و هو منقول عن السدي .

و منهم من قال: إن السموات و الأرض جميعاً على الكرسي، و الكرسي تحت الأرض كالعرش فوق السماء .

١ . عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٥٩

٢ . تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ١٦٠

و روى الأصبغ بن نباته أن علياً عليه السلام قال: «السموات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك ويحملونه باذن الله، ملك منهم في صورة الأدميين وهي أكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لبنى آدم، والملك الثانى فى صورة الثور وهو سيد البهائم وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم، والملك الثالث فى صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للطيور، والملك الرابع فى صورة الأسد وهو سيد السباع. وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن فى جميع الصور صورة أحسن من الثور ولا أشد انتصاباً منه، حتى اتخذ الملاء من بنى اسرائيل العجل وعبدوه، فخفض الملك الذى فى صورة الثور رأسه استحياءاً من الله أن أعبدوا من دون الله بشيء يشبهه وتخوف أن ينزل به العذاب»<sup>١</sup>.

واعلم أن هذا المنقول عنه عليه السلام حكمه حكم المتشابه من القرآن فى باب قصور الفهم عنه وتحرير العقول فى دركه، لأنه كلام صدر عن معدن الولاية والتوحيد والعرفان، ولا يعرفه إلا الراسخون فى علم الأديان - والله أعلم.

ومن أهل الهيئة من ذهب الى أن الفلك الثامن هو الكرسي، والعرش هو مجموع الثمانية، يتعلق به نفس يحركه بالحركة السريعة اليومية، وبه قال العلامة الطوسى طاب ثراه. وقال الفخر الرازى فى الكبير: اعلم أن لفظ الكرسي ورد فى هذه الآية وجاء فى الأخبار الصحيحة أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة ولا امتناع فى القبول فوجب القبول، وأما ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: «موضع القدمين» ومن البعيد أن يقول ابن عباس موضع قدمى الله عز وجل وتقدس عن الجوارح والأعضاء بالقواطع البرهانية الدالة على نفى الجسمية، فوجب رد هذه الرواية أو حملها على أن المراد أن الكرسي موضع قدمى الروح الأعظم، أو ملك آخر عظيم القدر عند الله».

هذا كلامه. وفيه موضع نظر علمى، وهو أنه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته عن وصمة التجسم وقبول الأقسام الموجب للانعدام، فكذلك يجب تنزيه فعله الخاص وأهل القرب والمنزلة عنده، فإن انقسام المعلول القريب مستلزم لانقسام العلة المفضية إياه، ولهذا حكموا بأن الأمر الثابت القار الذات - كالتبيعة - لا يكون علة لأمر متغير الذات

١. تفسير القمى، ج ١، ص ٨٥

غيرقارٍ - كالحركة - إلّا و يلحقه ضرب من التغيّر لئلا يلزم فقدان المناسبة بين العلة و المعلول القريب .

فهكذا لا بدّ في صدور المتكثّرات و المتغيّرات و المنقسمات من المبدأ الأعلى الذي في غاية الوحدة و البساطة و التجردّ من متوسّط روحاني غير جسماني ، ليكون واسطة بين الباري تعالى و عالم الأجرام ، بل بينه و بين عالم النفوس المتوسطة بين الروح الأعظم و عالم الأجرام ، فاذا كان كذلك يكون اثبات الأعضاء مستحيلا عليه كما استحال على مبدعه . ثمّ العجب تجويز ذلك عليه مع تسميته «روحاً أعظم» ، فإنّ الروحانيّة تنافي التجسم ، و لأقلّ تنافي كون الشيء ذا أعضاء متميزة في الأوضاع متخالفة في الصفات ، على أنّ تسمية الأطباء الجسم اللطيف البخاري المتشابه «روحاً» إمّا على ضرب من التجوّر و التشبيه البعيد ، أو بحسب اشتراك لفظ اللطافة بين المعنى الذي يوجد في الجسم - و هو رقة القوام أو عدم الحجاب عن البصر - و بين المعنى الذي يوجد في المجردّات ، و هو عدم حجابها عن التعقل ، أو نفوذ تأثيرها فيما دونها ، على أنّ أعظميّة الرّوح تنادى بانتفاء كونه روحاً حيوانياً .

و من المنهج الثاني أقوال ثلاثة :

القول الأوّل : ما اختاره القفال ، و هو أنّ المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله و كبريائه .

و تقريره أنّه تعالى خاطب عباده في تعريف ذاته و صفاته بما اعتادوه في ملوكهم و عظمائهم ، فمن ذلك أنّه جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون بيوت ملوكهم ، و أمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم و ذكر في حجر الأسود أنّه يمين الله في أرضه ، ثمّ جعل موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم ، و كذلك ما ذكر في محاسبته العباد يوم القيامة من حضور الملائكة و النبيّين و الشهداء و وضع الموازين ، فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً فقال : ﴿الرحمن على العرض استوى﴾ (طه: ٢٠) : ٥ ، ثمّ وصف ﴿عرشه على الماء﴾ (هود: ١١) : ٧ ، ثمّ قال : ﴿و ترى الملائكة حافّين من حول العرش﴾ (الزمر: ٣٩) : ٧٥ ، و قال : ﴿يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (الحاقة: ٦٩) : ١٧ ، و قال : ﴿الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون﴾ (غافر: ٤٠) : ٧ ، ثمّ أثبت لنفسه كرسيّاً فقال : ﴿وسع كرسيه السموات و الأرض﴾ .



و إذا عرفت هذا فنقول :

كلّ ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه من العرش و الكرسي فقد ورد مثلها بل أقوى منها في الكعبة و الطواف و تقبيل الحجر ، و لمّا توقفنا ها هنا على أنّ المقصود تعريف عظمة الله و كبريائه مع القطع بأنّه منزّه عن أن يكون في الكعبة ، فكذا الكلام في العرش و الكرسي - انتهى كلام القفال .

و قد استحسّنه كثير من العلماء المفسّرين ، و تلقاه بالقبول جمّ غفير من الفضلاء المعترين ، منهم الزمخشري و الرازي و النيشابوري و البيضاوي .

أمّا الزمخشري فحيث قال : و ما هو إلّا تصوير لعظمته تعالى و تخييل فقط ، و لا كرسيّ ، ثمّ و لا قعود و لا قاعد ، كقوله : ﴿ و ما قدروا الله حقّ قدره و الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه ﴾ (الزمر ٣٩ : ٦٧) من تصوير قبضة و طي و يمين ، و إنّما تخييل لعظمة شأنه و تمثيل حسيّ ألا ترى الى قوله : ﴿ و ما قدروا الله حقّ قدره ﴾ (الحج ٢٢ : ٧٤) - انتهى ٢ - و هذا بعينه خلاصة كلام القفال .

و أمّا الرازي فحيث قال مشيراً الى ما ذكره : « و هذا جواب متين » .

و أمّا النيشابوري فحيث قال : « المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله و كبريائه ، و لا كرسيّ ثمّة و لا قعود و لا قاعد ، كما اختاره جمع من المحققين كالقفال و الزمخشري ، و تقريره أنّه تعالى يخاطب الخلق في تعريف ذاته و صفاته بكذا و كذا » - و أخذ في ايراد العبارة المنقولة عن القفال بعينها الى آخرها ، فعلم من ذلك كونه معتقداً لهذا الكلام حيث نقله تماماً من غير أن يسنده الى قائله ، و وصف المختارين لمؤداه بالمحققين - .

و أمّا القاضي فلقوله : « هذا تصوير لعظمته و تمثيل مجرد و لا كرسي في الحقيقة و لا قاعد » .

فقد علم أنّ هؤلاء الفضلاء المفسّرين البارعين في مذهبي الأشعرية و الاعتزال كلّهم اقتفوا أثر كلام القفال و ظنّوا أنّ ما ذكره القفال و استحسّنه هؤلاء المعدودون من أهل العلم و الكمال ، غير مرضيّ عند المهيمن المتعال ، و رسوله المبعوث لهداية الخلق و نجاتهم من الضلال ، من حمل هذه الألفاظ القرآنية و نظائرها المذكورة في الكتاب و السنة على مجرد التخيل و التمثيل ، من غير حقيقة دينية و أصل ايماني ، بل هو قرع باب السفسطة

١ . في المصدر : من غير تصوّر

٢ . الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٨٥





و التعليل، و سدّ باب الاهتداء و التحصيل في آيات التنزيل، إذ يتطرق تجويز مثل هذه التخيلات و التمثيلات من غير حقائق دينية [إلى] سدّ باب الاعتقاد بالمعاد الجسماني و عذاب القبر و الصراط و الحساب و الميزان و الجنان و النيران و الحور و الغلمان و سائر المواعيد الشرعية، إذ يجوز لأحد - على التقدير المذكور - أن يحمل كلّاً من تلك الأمور على مجرد التخيل من غير تحصيل حقيقة مخصوصة .

فكما جاز أن يحمل تعظيم العرش و الكرسي و حرمة بيت الله و تقبيل الحجر الأسود و ما في محاسبة العباد يوم القيامة من حضور الملائكة و النبيين و الشهداء و وضع الموازين على مجرد التخيل و التخويف و الارحاء و الانذار و الترغيب و التهيب من غير أصل حقيقي محقق في الواقع فليجز مثل ذلك في الجنة و النار، و الرضوان و النعيم، و الزقوم و الحميم و تصليّة جحيم .

بل الحق المعتمد ابقاء صور الظواهر على هيئتها و أصلها إلّا لضرورة دينية، إذ ترك الظواهر يؤدّي الى مفسد عظيمة، نعم إذا كان الحمل على الظواهر مناقصاً لأصول صحيحة دينية، و عقائد حقّة يقينية، فينبغي للانسان حينئذ أن يتوقف فيها و يحيل علمه الى الله و رسوله و الأئمة المعصومين من الخطاء، الراسخين في العلم عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿و ما يعلم تأويله إلّا الله و الراسخون في العلم﴾ (آل عمران: ٣) (٧)، ثم يترصد الرحمة من عند الله و يتعرض لنفحات كرمه وجوده رجاء أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً، امثالاً لأمره فيما روى عنه عليه السلام: «إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» ثم إن الذوق الصحيح من الفطرة السليمة شاهد بأنّ متشابهات القرآن ليس المراد بها مقصوراً على مجرد أمور جسمانية يعرف كنهها كلّ أحد من الأعراب و البدويين و عموم الخلق، و إن كان قشور من تلك الأمور ممّا لكلّ أحد منهم نصيب منها، و ليس المراد أيضاً مجرد تصوير و تمثيل يعلمه كلّ من له قوة التمييز في الأنظار، و يفهمه كلّ من يتصرف بعقله في الأفكار بحسب استعمال الصناعة المنطقية في الأبحاث من غير مراجعة الى سلوك سبيل الله و مكاشفة الأسرار و معاينة الأنوار، و إلّا لما قال تعالى في باب المتشابه من القرآن: ﴿و ما يعلم تأويله إلّا الله و الراسخون في العلم﴾ (النساء: ٤) (٨٣) و لما قال في الغامض منه: «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» و لما دعا رسول الله صلى الله عليه و آله في حقّ أمير

المؤمنين عليه السلام بقوله: «اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل»، فان كان علم التأويل أمراً حاصلًا بمجرد الذكاء الفطري أو المكتسب بطريق القواعد العقلية المتعارفة بين العقلاء و لما كان أمراً خطيراً و خطباً عظيماً، حيث استدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله بالدعاء من الله تعالى لأحب خلقه اليه و هو على صلى الله عليه وآله.

و مما يدل على أن أسرار التنزيل و الانزال أجلّ شأنًا مما يعلم بقوة تفكر مثل القفال و غيره من آحاد المتكلمين و أهل الاعتزال، ما رواه الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني - بسنده المتصل الى أبي بصير - عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «نحن الراسخون في العلم، و نحن نعلم تأويله»<sup>١</sup>.

و في رواية أخرى عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين و الأئمة من بعد عليه السلام»<sup>٢</sup>.

و عن أبي جعفر محمد عليه السلام برواية أبي بصير قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ «فأومى بيده الى صدره»<sup>٣</sup>.  
فقد تبين من هذه الأمور أن فهم متشابهات القرآن لا يتيسر لأحد إلا باقتباس أنوار الحكمة من مشكوة النبوة و الولاية، و استضاءة أضواء المعرفة و الهداية من جهة أحكام التابعية المطلقة، و تصفية الباطن بالعبودية التامة، و اقتفاء آثار الأئمة الهادين و تتبع أنوار أهالي بيوت النبوة و الولاية، و أبواب مدائن العلوم و الهداية - صلوات الله عليهم أجمعين - لينكشف على السالك شيء من أنوار علوم الملائكة و النبيين، و يتخلص من ظلمات نقوش أقاويل المتفكرين و المناظرين، و يستسمع أنموذجاً مما وصلنا اليه بنور المتابعة و الاقتداء في هذا الباب، ليكون لك مقياس يمكنك أن تنظر من ثقبه اسطرلابه الى شيء من أنوار عالم الأسرار و منزل الأبرار.

**القول الثاني:** إن المراد من الكرسى «العلم» فمعنى الآية: وسع علمه السموات و الأرض - عن ابن عباس و مجاهد، و روى هذا القول صاحب مجمع البيان<sup>٤</sup> الشيخ أبو على الطبرسي - طاب ثراه - مرفوعاً عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليه السلام، و ذلك لأن موضع العالم هو الكرسى،

١. بصائر الدرجات، ص ٢٢٤، ح ٧؛ الكافي، ج ١، ص ٢١٣، ح ١

٢. الكافي، ج ١، ص ٢١٣، ح ٣

٣. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٠، ح ٩ / ٣٣٥٤٠

٤. تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ١٦٠







فسميت صفة الشيء باسم مكان ذلك الشيء على سبيل المجاز، أو لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه و الكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه، فجهة الوحدة في المشابهة بينهما هي الاعتماد، فإطلاق الكرسي على العلم تسمية للشيء باسم ما يشابهه، و منه يقال للعلماء «الكراسي» كما يقال لهم «أوتاد الأرض».

القول الثالث: و هو معتمد كثير من علماء التفسير، أن المراد من الكرسي «السلطان» و «القدرة» فيكون المعنى: أحاط قدرته السموات و الأرض. أو «الملك» تسمية للشيء باسم محله و مكانه، لأن كلا من هذه المصادر قد يستعمل مبنياً للمفعول فيكون صفة له، ثم يقال تارة: الإلهية لا تحصل إلّا بالقدرة و الخلق و الإيجاد، و العرب يسمي الملك بالكرسي، لأن الملك يجلس على الكرسي، فسمي الملك باسم مكان الملك.

فهذه جملة من الأقوال المنقولة عن العلماء النظّر المتفكرين في كتاب الله بقوة الأفكار، السائرين على أحد المنهجين الى نيل نتائج الأنظار.

ثم لا يخفى على من له تفقه في الغرض المقصود من الارسل و الانزال أن مسلك الظاهريين الراكنين الى ابقاء صور الألفاظ و أوائل المفهومات أشبه من طريقة المأولين بالتحقيق، و أبعد من التصريف و التحريف، و ذلك لأن ما فهموه من أوائل المفهومات هي قوالب الحقائق التي هي مراد الله و مراد رسوله.

و أما التحقيق فهو مما يستمد و يستنبط من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يعنى عنه ظاهر التفسير، بل لعلّ الانسان لو أنفق عمره في استكشاف أسرار هذا المعنى و ما يرتبط بمقدماته و لواحقه لكان قليلا، بل لا نقطع عمره قبل استيفاء جميع لواحقه، و ما من كلمة من القرآن إلّا و تحقيقها يحوج الى مثل ذلك، و إنّما ينكشف للعلماء الراسخين في العلم من أسرارهم و أغواره بقدر غزاة علومهم و صفاء قلوبهم، و توفر دواعيهم على التدبّر و تجرّدهم للطلب و يكون لكلّ عالم منهم حظّ - نقص أو كمل - و لكلّ مجتهد ذوق - كثير أو قل - فلهم درجات في الترقى الى أطواره و أغواره. و أما الاستيفاء و الوصول الى الأقصى فلا مطمع لأحد فيه، ولو كان البحر مدادا و الأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فنغد البحر قبل أن تنغد كلمات الله<sup>١</sup>.

١. الاتخاذ من الآية: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا﴾

فمن هذا الوجه تتفاوت العقول في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير الذي ذكره المفسرون، و ليس ما حصل للراسخين في العلم من أسرار القرآن و أغواره مناقضاً لظواهر التفسير، بل هو استكمال له و وصول الى لبابه عن ظاهره .

فهذا ما نريده لفهم المعانى لا ما يناقض الظواهر، كما ارتكبه القفال و تبعه غيره من المفسرين من تأويل «الكرسى» الى مجرد تصوير عظمته و تخيل كبريائه، و كذا ما فعله غيره من تأويله الى مجرد القدرة و السلطان أو الى العلم، لأن كلاًها مجازات بعيدة لا يصار اليها، لا بحسب نقل صريح عن الرسول ﷺ أو عن الأئمة المعصومين عليهم السلام .

ثم لا ضابط للمجازفات و الظنون و الأوهام، فلا بد للمفسر إما أن لا يعول إلاً على نقل صريح، أو على مكاشفة تامة و وارد قلبى لا يمكن رده و تكذيبه و إلاً فسيلعب به الشكوك كما لعبت بقوم تراهم أو نرى آثارهم الفكرية من هذه القرون و من القرون الخالية، و شرّ القرون ما طوى فيه طريق الرياضة و المكاشفة، و انحسم باب الذوق و التصفية، و انسدّ طريق السلوك الى الملكوت الأعلى بأفدام المعرفة و التقوى، و شاع الجهل و الاصرار و العرونة و الاستنكار و طلب الرياسة و الشهرة عند الناس و تقرب السلاطين فى هذه الدنيا . فانّ هذه توجب سخط الله و سخط الرسول و أولياء الله، و تستلزم الاحتجاب عنه تعالى و الحرمان عن الوصول اليه، و الاحتراق بنار القطيعة و الطرد و البعد عنه تعالى، و العمى عن مشاهدة الأنوار التى يكاشفها المجردون عن الأغراض النفسانية، الهاربون عن الخلق و عاداتهم و رسومهم الدنية الى الاقبال بشراشر الهمة الى الحق، المتعرضون لنفحات الله فى أيام دهرهم، المنتظرون لنزول الرحمة على سرهم، فهم فى الحقيقة الواقفون على أسرار القرآن دون غيرهم، سواء كانوا من الظاهريين المشبهين أو من العقلاء المدققين، و كلاهما بمعزل عن فهم آيات القرآن، إلاً أن الظاهريين أقرب الى الصواب من المأولين لما أشرنا اليه من كون مقاصدهم قوالب المعانى القرآنية .

فقد ظهر و تبين لك أن لأرباب الأفكار التفسيرية و الأفهام القرآنية ثلاث مقامات : فمن مسرف فى رفع الظواهر كالقتال و كثير من المعتزلة انتهى أمرهم الى تغيير جميع الظواهر فى المخاطبات التى تجرى فى الشريعة الحقّة - من منكر و نكير، و ميزان و حساب، و صراط، و فى مناظرات أهل النار و أهل الجنة فى قولهم : ﴿أفيضوا علينا من الماء﴾ (الأعراف(٧):٥٠) و زعموا أن ذلك لسان الحال .





و من غال في حسم باب العقل كالحنابلة أتباع أحمد بن حنبل ، حتى منعوا تأويل قول ﴿كن فيكون﴾ و زعموا أنّ ذلك خطاب بحرف و صوت يتعلّق بهما السماع الظاهري يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل متكوّن ، حتى نقل عن بعض أصحابه أنّه يقول : حسم باب التأويل إلّا لثلاثة ألفاظ : قوله ﷺ : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» و قوله ﷺ : «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن» و قوله ﷺ : «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن» .

و من العلماء من أخذ في الاعتذار عنه أنّ غرضه في المنع من التأويل رعاية اصلاح الخلق و حسم الباب للوقوع في الرفض و الخروج عن الضبط فأنّه إذا فتح باب التأويل وقع الخلق في الخرق و العمل بالرأى ، فخرج الأمر عن الضبط و تجاوز الناس عن حدّ الاقتصاد .

و قال الغزالي : «لا بأس بهذا الزجر ، و يشهد له سيرة السلف ، فإنّهم كانوا يقولون : «أقروها كما جاءت» حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء : «الاستواء معلوم ، و الكيفيّة مجهولة ، و الايمان به واجب ، و لسؤال عنه بدعة» .<sup>٢</sup>

و ذهب طائفة الى الاقتصاد في باب التأويل ، ففتحوا باب التأويل في المبدأ و سدّوها في المعاد ، فأولّوا في كلّ ما يتعلّق بصفات الله من الرحمة و العلو و العظمة و غيرها ، و تركوا ما يتعلّق بالآخرة على ظواهرها و منعوا التأويل فيها ، و هم الأشعرية - أصحاب أبي الحسن الأشعري - و زاد المعتزلة عليهم حتى أولّوا من صفات الله ما لم يأولّوا الأشاعرة ، فأولّوا «السمع» الى مطلق العلم بالمسوعات ، و «البصر» الى العلم بالمبصرات ، و أولّوا «المعراج» و زعموا أنّه لم يكن بجسد ، و أولّوا «عذاب القبر» و «الميزان» و «الصراط» و جملة من أحكام الآخرة ، و لكن أقروا بحشر الأجساد و الجنّة و اشتمالها على المأكولات و المشروبات و المنكوحات و الملاذ الحسيّة ، و بالنار و اشتمالها على جسم محسوس يحرق الجلود و يذيب الشحوم .

و من ترقّيههم الى هذا الحد زاد المتفلسفون و الطبييعيون و الأطباء فأولّوا كلّما ورد في الآخرة و ردّوها الى آلام عقليّة روحانيّة ، و لذات عقليّة روحانيّة و أنكروا حشر الأجساد ، و

١ . شرح الأسماء الحسنی للسبزواری ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ تفسير الرازی ، ج ٢٢ ، ص ٦

٢ . احياء علوم الدين ، ج ١ ، كتاب قواعد العقائد ، الفصل الثاني ، ص ١٠٤

قالوا ببقاء النفوس مفارقة إما معذبة بعذاب أليم، وإما منعمة براحة ونعيم لا يدرك الحس، و هؤلاء هم المسرفرون عن حدّ الاقتصاد، و حدّ الاقتصاد بين برودة جمود الحنابلة و حرارة انحلال المأولة دقيق غامض لا يطلع عليه إلّا الراسخون في العلم و الحكمة و المكاشفون الذين يدركون الأمور بنور الهى، لا بالسماع الحديثى، و لا بالفكر البحثى .

أقول: كما أن اقتصاد الفلك في طرفى التضاد ليس من قبيل اقتصاد الماء الفاتر الواقع في جنس الحرارة و البرودة بل الممتزج منهما، فكذا اقتصاد الراسخين في العلم ليس كإقتصاد الأشاعرة، لأنه ممتزج من التأويل في البعض و التشبيه في البعض، و أمّا اقتصاد هؤلاء فهو أرفع من القسمين و أعلى من جنس الطرفين حيث انكشف لهم بنور المتابعة أسرار الأمور على ما هي عليها من جانب الله بنور قذف في قلوبهم و شرح به صدورهم، و لم ينظروا الى هذه الأمور من السماع المجرد و نقل الألفاظ من الرواة ليقع بينهم الاختلاف في المنقول فلا يستقر فيها قدم و لا يتعين موقف، و أمّا الذى نحن فيه الان فكشف الغطاء عن حدّ الاقتصاد فيه يحتاج الى استيناف مسلك الهى و نمط قدسى و انقطاع عن الرسوم، و توجه تام الى الحى القيوم .

و أمّا الأنموذج الذى وعدناك ذكره من طريق العلماء الراسخين - الذين لا يعلم بعد الله و رسوله متشابهات القرآن غيرهم - فهو ممّا أذكر مثالا و لمعة منه انشاء الله، لأننى أراكم قاصراً عن دركه و عاجزاً عن فهم سرّه و حقيقته، فانه نبأ عظيم و أنتم عنه معرضون .

فاعلم أن مقتضى الدين و الديانة أن لا يأول المسلم شيئاً من الأعيان التى نطق به القرآن و الحديث إلّا بصورها و هيئاتها التى جاءت، بل اكتفى بظاهر الذى جاء اليه من النبى و الأئمة سلام الله عليهم، و مشايخ المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين، اللهم إلّا أن يكون ممن قد خصّصه الله بكشف الحقائق و المعانى و الأسرار، و اشارات التنزيل و تحقيق التأويل، فإذا كوشف بمعنى خاص أو اشارة و تحقيق قرّر ذلك المعنى من غير أن يبطل صورة الأعيان، لأن ذلك من شرائط المكاشفة، إذ قد مرّ أنّ ألفاظ القرآن يجب حملها على المعانى الحقيقية لا على المجاز و الاستعارات البعيدة، و كذا ما ورد في الشرع الأنور من لفظ الجنة و النار و الميزان و الصراط و ما في الجنة من الحور و القصور و الأنهار و الأشجار و الثمار و غيرها من العرش و الكرسي و الشمس و القمر و الليل و النهار . و لا يأول شيئاً منها على مجرد المعنى و يبطل صورته، كما فعله في باب الأعيان المعادية





كثير من العقلاء المحجوبين بعقلهم و فطانتهم البتراء، التي كانت البلاهة أدنى الى الخلاص منها، بل يثبت تلك الأعيان كما جاء و يفهم منها حقائقها و معانيها .

فألله تعالى ما خلق شيئاً في عالم الصورة إلّا وله نظير في عالم المعنى، و ما خلق شيئاً في عالم المعنى و هو «الآخرة» إلّا وله حقيقة في عالم الحق و هو غيب الغيب، إذ العوالم متطابقة، الأدنى مثال الأعلى، و الأعلى حقيقة الأدنى، و هكذا الى حقيقة الحقائق .

فجميع ما في هذه العالم أمثلة و قوالب لما في عالم الآخرة، و ما في الآخرة هي مثل و أشباه للحقائق و الأعيان الثابتة، التي هي مظاهر أسماء الله تعالى، ثم ما خلق في العالمين شيء إلّا و له مثال و أنموذج في عالم الانسان، فلنكتف في بيان حقيقة العرش و حقيقة الكرسي بمثال لكل واحد منهما في عالمنا الانساني .

فاعلم أن مثال «العرش» في ظاهر الانسان قلبه، و في باطنه هو روحه النفساني و في باطن باطنه هو نفسه الناطقة، إذ هو محل استواء الروح الذي هو جوهر قدسي عقلي عليه بخلافة الله في هذا العالم الصغير .

و مثال «الكرسي» في الظاهر هو صدره، و في الباطن هو روحه الطبيعي الذي هو مستوى نفسه الحيوانية، التي وسعت سماوات القوى الطبيعية السبعة - و هي الغذائية، و النامية، و المولدة، و الجاذبة، و الماسكة، و الهاضمة و الدافعة - و أرض قابلية الجسد كما وسع الصدر محال تلك القوى من الأعصاب و الرباطات و غيرها .

ثم العجب كل العجب أن العرش مع عظمته و اضافته الى الرحمن بكونه مستوى له بالنسبة الى وسعة قلب العبد المؤمن قيل: «إنه كحلقة ملقاة في فلاة بين السماء والأرض» . و قد ورد في الحديث: «لا يسعني أرضي و لا سمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن»<sup>١</sup> و قال أبو يزيد البسطامي: «لو أن العرش و ما حواه وقع في زاوية من زوايا قلب أبي يزيد لما أحس به» .

فاذا علمت هذا المثال و تحققت بالقول على هذا المنوال، فاجعله دستوراً لك في تحقيق الحقائق و ميزاناً تقيس به جميع الأمثلة الواردة على لسان النبوات .

فاذا بلغك مثلاً عن رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن في قبره روضة خضراء و يرحب له قبره سبعين ذراعاً، و يضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر» أو سمعت في الحديث عنه ﷺ أنه

١ . عوالي اللئالي، ج ٤، ص ٧، ح ٧



قال في عذاب الكافر في قبره «يسلط الله عليه تسعة و تسعون تَنِيناً لكلّ تَنين - اى : حية - تسعة رؤوس ينهشونه و يلحسونه و ينفخون في جسمه الى يوم يبعثون»، 'فلا تتوقف في الايمان به صريحاً من غير تأويل، و لاتحمله على المجاز أو الاستعارة، بل كن أحد رجلين : إما المؤمن بظواهر ما ورد في الكتاب و الحديث من غير تصرف و تأويل، أو العارف الراسخ في تحقيق الحقائق و المعانى مع مراعاة جانب الظواهر و صور المباني، كما شاهده أرباب البصائر ببصيرة أصحّ من البصر الظاهرى .

و لاتكن الثالث بأن تنكر الشريعة الحقة و ما ورد فيها رأساً و تقول : «إنّها كلّها خيالات سوفسطائية، و تمويهات و خدع عامية»، نعوذ بالله و برسوله من مثل هذه الزندقة الفاحشة، و لا الرابع بأن لاتنكرها رأساً و لكن تأولّه بفطانتك البتراء و بصيرتك الحولاء الى معان عقلية فلسفية و مفهومات كلية عامية، فانّ هذا في الحقيقة ابطال الشريعة، لأنّ بناء الشرايع على أمور يشاهدها الأنبياء مشاهدة حقيقية لا يمكن تلك لغيرهم إلّا بنور متابعتهم، و إن كان منشأ ذلك غاية القوة الباطنية العقلية .

فان كنت من قبيل الرجل الأوّل فقد أمسكت بنوع من النجاة، لكن لا قيمة لك في الاخرة إلّا بقدر همّتك في الدنيا، و لا مقدار لك في عالم المعنى إلّا على مبلغ علمك بحقائق العقبي، و إذ لا علم فلا رتبة هناك، لأنّ كمال ذلك العالم هو عالم الحيوان، و قوامه بالنيات الحقة و العلوم الباقية، كالعلم اليقيني بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر، فغير العارف بمنزلة جسد بلا روح و لفظ بلا معنى، و مع ذلك فالنجاة فوق الهلاك .

و ذلك أيضاً بشرط سلامة الفطرة عمّا يغيّرها من الأغراض النفسانية و بشرط أن لا يكون فيك استعداد التجاوز عن درجة العوام، و إلّا فيكون تقصيرك فيما تستدعيه بقوة استعدادك و سكونك عمّا تطلبه بلسان قابليتك لمرادك موجباً لك سخط البارى في آخرتك و معادك، و باعثاً لعذابك بانقطاعك عن مبتغاك و مناك .

و على أىّ الحالين فليس لك نصيب من القرآن إلّا في قشوره، كما ليس للبهيمة نصيب من البر إلّا في قشره الذى هو «التبن» .

و القرآن غذاء الخلق كلّهم على اختلاف أصنافهم، و لكن اغتدائهم به على قدر درجاتهم، و فى كلّ غذاء مخّ و نخالة و تبن، و حرص الحمار على التبن أشدّ منه على



الخبز المتخذ من اللب، و أنت و نظرائك شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهائم، و لا تترقى الى درجة الانسانية - فضلاً عن الملكية - فدونكم، و الانسراح في رياض القرآن ففيه متاع لكم و لأنعامكم .

و إن كنت من قبيل الرجل الثانى ، فبسبب رسوخ قدمك فى تحقيق الدين و كشف الحق و اليقين ، و انزعاجك عن درجة الناقصين ، و تجاوزك عن مقام الظن و التخمين تيسر لك أن تعرف عرفاناً كشافياً أو علماً ذوقياً ، أن التين الذى أشار اليه الرسول ﷺ فى الحديث المذكور ، ليس مجرد تخويف بلا أصل و محض تخيل بلا حقيقة كما يفعله المشعبدون - فإن كلام الله و كلام رسوله أعظم و أجل من أن يحمل على مثل هذا المعنى الذى حمل عليه بعض الغافلين المتفلسفين ، و أن المزاج و العبث و الجراف كلها ممقوت عند ذوى المجد ، حتى قال الشبلى : «الوقت كله جد لا يحتمل المزحة» ، فكيف كلام الله و كلام رسوله ﴿ و ما هو بالهزل ﴾ (الطارق (٨٦): ١٤) نعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .-

بل معنى الحديث النبوى إنما هو تفسير و شرح لقوله تعالى : ﴿ إنما هي أعمالكم ترد اليكم ﴾ و قوله تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾ (آل عمران (٣): ٣٠) بل سرّ قوله سبحانه : ﴿ كلاً لو تعلمون ﴾ - الى قوله - : ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ (التكاثر (١٠٢): ٧) أى أن الجحيم باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين .

بل هو سرّ قوله تعالى : ﴿ يستعجلونك بالعذاب و إن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ (العنكبوت (٢٩): ٥٤) و لم يقل «إنها ستحيط» بل قال : هى محيطة بالكافرين و قوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ (الكهف (١٨): ٢٩) و لم يقل «يحيط بهم» و هو معنى قول من قال : «إن الجنة و النار مخلوقتان» و قد أنطق الله لسانه بالحق و لعله لا يطلع سرّ ما يقوله .

فان لم تفهم معانى القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن إلّا فى قشوره ، كما ليس للبهيمة نصيب من البر إلّا فى قشره الذى هو التبن ، فتكون من قبيل الشخص الأول و هو خرق الفرض .

فحيث نقول : إن هذا «التين» موجود فى الواقع ، إلّا أنه ليس خارجاً عن ذات الميت ، بل كان معه قبل موته لكنه لم يحس بلدغه لخدركان فيه لغلبة الشهوات ، فأحس بلدغه بعد موته و كشف غطاء حياته الطبيعية بقدر عدد أخلاقه الذميمة و شهواته لمتاع الدنيا .

و أصل التنين حبّ الدنيا و تنشعب عنه رؤوس بعدد ما تنشعب الملكات عن حبّ الدنيا من الحسد، و الحقد، و العداوة، و البغضاء، و الكبر، و الرياء و الشره، و المكر، و الخداع، و حبّ الجاه و المال و النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسوّمة و الأنعام و الحرث و غير ذلك - .

و أصل هذا التنين معلوم لذوى البصائر، و كذا كثرة رؤوسه، أما انحصار عدده في «تسعة و تسعين» إنّما يقع الاطلاع عليه لهم بنور النبوة و الاتباع، فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر المنكر للدين، لالمجرّد جهله بالله و كفره بل لما يدعو اليه الكفر و الجهل، كما قال الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ (النحل (١٦): ١٠٧) .

فكلّ ما يدعو اليه الجهل بالله و ملائكته المقدّسين و أنبيائه المرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - من محبة الأمور الباطلة الزائلة فهو بالحقيقة و المعنى تنين يلسعه و يلدغه في أولاه و أخراه - سواء كان مع صورة مخصوصة كما في عالم القبر بعد الموت، أو لم يكن كما في عالم الدنيا قبل الموت -

و عند عدم تمثّل هذا الأمر اللدغ اللساع على صورة يناسبه لا يعوزه شيء من حقيقة التنين و معنى لفظه بالحقيقة، إذ اللفظ موضوع للمعنى الكلى و خصوصيات الصور خارجة عمّا وضع له اللفظ، و إن كان اعتياد الناس بمشاهدة بعض الخصوصيات يحملهم على الاقتصار عليه و الحكم بأنّ ما سواه مجاز - كما مرّ في «لفظ الميزان» .

على أنّا نقول: يتمثّل هذا التنين للفاسق الخارج عن الدين في عالم البرزخ حتى يشاهده و ينكشف عليه صورته و كسوته، لكن لا على وجه يمكن لغيره ممّن يكون في هذا العالم بعد مشاهدة تلك الصور و سائر الصور الأخروية .

و بهذا يندفع انكار المنكر لعذاب القبر، إذ يقول: «إنّى نظرت في قبر فلان، فما رأيت شيئاً ممّا ورد في باب عذاب القبر» و ذلك لأنّه في عالم الشهادة، و لا بدّ لمشاهدة عالم الغيب من الخروج عن غشاوة هذا العالم و غباره .

نعم، الفاسق قد ينام، فيتمثّل له حاله في المنام، فربّما يرى صورة حيّة يلدغ صميم فؤاده، لأنّه بعد قليلا عن عالم الشهادة، فيتمثّل له حقائق الأشياء تمثّلا محاكياً للحقيقة، منكشفاً له من عالم الملكوت، و الموت أبلغ في الكشف من النوم، لأنّه أقمع لنوازع الحس و الخيال، و أبلغ في تجريد جوهر الروح عن غشاوة هذا العالم، فلذلك يكون ذلك التمثيل







تأمناً محققاً دائماً لا يزول، فانه نوم لا تنبه منه .

فكما أن المستيقظ الذي بجنب النائم - إن كان - لا يشاهد الحية التي يلدغ النائم، و ذلك غير مانع من وجود الحية في حقه و حصول الألم به في نفسه، فكذلك الحاضر في قبر الميت بالقياس الى حال الميت التي نشاهدها في قبره الحقيقي .

و هذا ملاك التحقيق في فهم متشابهات القرآن و الحديث، و هو مسلك شريف قد ذكره بعض علماء الاسلام كالغزالي في كتبه، إلا أن بيانه بوجه حكيمى برهاني و تصحيحه بأوضاع و مقدّمات علمية قطعية تطابق عليها العقل و النقل، و تقويمه بدفع شبه و أغاليط وهمية و وساوس شيطانية على النظم القياسى المتألف من مواد حقّة صحيحة و صور مستقيمة لازمة الانتاج غير عقيمة الازدواج موكول الى بعض كتبنا العرفانية المبسوطة المتكفلة لبيان الأصول الحقّة الايمانية على مبلغ القوة و الطاقة - و الله ولى إلّا فاضة و الالهام .

### زيادة كشف و تبين

بل نقول: ما من شيء في هذا العالم إلّا و هو مثال لأمر روحاني من عالم الملكوت كأنه روحه و معناه، و ليس هو هو في صورته و قلبه، و المثال الجسماني مرقاة الى المعنى الروحاني و لذلك كانت الدنيا منزلاً من منازل الطريق الى الله، فيستحيل الترقى الى عالم الاخرة إلّا من مثال عالم الدنيا ﴿ و لقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ (الواقعه (٥٦): ٦٢) «من فقد حساً فقد علماً» .

و القرآن و الأخبار مشحونة بذكر الأمثلة من هذا الجنس الذي مرّ ذكره، فانظر الى قوله ﷺ: «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن»<sup>١</sup>، فان روح «الأصبع» القدرة على سرعة التقلب، و إنما يكون قلب المؤمن بين لمة الملك و لمة الشيطان، هذا يغويه و هذا يهديه، و الله سبحانه يقلّب قلوب العباد كما تقلّب أنت الأشياء باصبعيك، فانظر كيف شارك نسبة الملكين المسخرين الى الله تعالى اصبعيك في روح الاصبعية و خالف في الصورة .

فاستخرج من هذا ما نقل عنه ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»<sup>٢</sup>، فمهما عرفت معنى

١. عوالى اللئالى، ج ١، ص ٤٨، ح ٦٩

٢. الكافي، ج ١، ص ١٣٤، ح ٤؛ التوحيد للصدوق، ص ٥٢؛ فتح الباري، ج ٥، ص ١٢٣



الاصبع أمكنك الترقى الى القلم، و اليد، و اليمين، و الوجه و الصورة، و وجدت جميعها حقائق غير جسمانية متمثلة بأمثلة جسمانية، فتعلم أن روح القلم و حقيقته التي لا بد من ذكره، إذا ذكر حدّ القلم «هو الذى يكتب به»، فان كان فى الوجود شىء يسطر بواسطته نقوش العلوم فى ألواح القلوب فأحرى به أن يكون هو «القلم» فان الله علّم بالقلم، ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾ (العلق (٩٦): ٥).

و هذا هو القلم الروحانى، إذ وجد فيه روح القلم و لم يعوّزه إلّا قلبه و صورته، و خصوصية المادة - كما مرّ - غير داخله فى حقيقة الشىء، و لذلك لا يؤخذ فى حدّه الحقيقى، إذ لكل شىء حدّ و حقيقة و هى روحه، فاذا اهتديت الى الأرواح صرت روحانياً و فتحت لك أبواب عالم الملكوت و أهلت لمرافقة الأعلى - و حسن أولئك رفيقا.

و لاتستبعد أن تكون فى القرآن اشارات من هذا الجنس، فان كنت لاتقوى على احتمال ما يقرع سمعك من هذا النمط ما لم يسند التفسير الى قتادة أو مجاهد أو السدى، فالتقليد غالب عليك، و كلامنا ليس إلّا مع المستبصر، و مع ذلك فانظر الى معنى قوله تعالى على ما ذكره المفسرون: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد (١٣): ١٧) و أنه كيف مثل العلم بالماء و القلب بالأودية و ينباع، و الضلال بالزبد، ثم نبهك فى آخرها فقال: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.

ثم نقول: كل ما لا يحتمله فهمك فان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذى لو كنت فى النوم مطالعاً بروحك اللوح المحفوظ لتمثل لك، و ذلك مثال مناسب يحتاج الى التعبير، و لذلك قيل: «إن التأويل يجرى مجرى التفسير»، و مدار تدوار المفسرين على القشر، و نسبة المفسر الى العارف المحقق المستبصر كنسبة من يترجم معنى الخاتم و الفروج و الأفواه فى مثال المؤذن الذى كان يرى فى المنام أن فى يده خاتماً يختم به فروج النساء و أفواه الرجال الى من يدرك أنه أذن قبل الصبح فى شهر رمضان.

فان قلت: لم أبرزت هذه الحقائق فى هذه الأمثلة و لم يكشف صريحاً حتى وقع الناس فى جهالة التشبيه و ضلالة التمثيل؟

فالجواب: أن الناس نيام فى هذا العالم، و النائم لم ينكشف له غيب من اللوح المحفوظ إلّا بالمثال - دون الكشف الصريح - و ذلك ممّا يعرفه من يعرف العلاقة الحقّة التى بين عالم الملك و الملكوت.



فاذا عرفت ذلك عرفت أنك في هذا العالم نائم - وإن كنت مستيقظاً عارفاً، «فالناس نيام، فاذا ماتوا انتبهوا»<sup>١</sup>، فينكشف لهم عند الانتباه بالموت حقائق ما سمعوه بالمثال و أرواحها، و يعلمون أن تلك الأمثلة كانت قشوراً و أصدافاً لتلك الأرواح و يتيقنون صدق آيات القرآن، و صدق قول الرسول و الأئمة الهداة عليهم السلام كما يقن ذلك المؤذن صدق قول ابن سيرين و صحّة تعبيره للرؤيا، و كل ذلك ينكشف عند الاتصال بالموت و يعرف كل أحد تأويل رؤياه، كما قيل في الفرس:

خواب نوشين بدانديش توخوش چندان است

كأبن سيرين قضا دم نزند در تأويل  
و حينئذ يقول الجاحد و الغافل: ﴿يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسول﴾ (الأحزاب: ٣٣): ٦٦  
﴿يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ (الأعراف: ٧): ٥٣ ﴿ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾  
(الفرقان: ٢٥): ٢٨ ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ (النبأ: ٧٨): ٤٠ ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾  
(يس: ٣٦): ٥٦ الى غير ذلك من الايات المتعلقة بشرح المعاد و الآخرة .  
فافهم و تحقق من هذا أنك لما كنت نائماً في هذه الحياة و إنما تيقظك بعد الموت، و عند ذلك تصير أهلاً لمشاهدة صريح الحق كفاحاً، و قبل ذلك فلاتحمل الحقائق إلّا مصبوبة في قالب الأمثال الخيالية، ثم لجمود نظرك على الحس تظن أنه لا معنى له إلّا المتخيل، و تغفل عن الحقيقة والسر كما تغفل عن روح قلبك، و لاتدرك إلّا قلبك و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ .

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
پرتال جامع علوم انسانی